

أضواء البيان

. . @ 19 @

وقوله تعالى : { الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ } ، شامل لهذا كله ، إذا كان هذا كله شأن القلم وعظم أمره ، وعظيم المنة به على الأمة ، بلى وعلى الخليفة كلها . . .
وقد افتتحت الرسالة بالقراءة والكتابة ، فلماذا لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم الذي أعلن عن هذا الفضل كله للقلم ! لم يكن هو كاتباً به ، ولا من أهله بل هو أمي لا يقرأ ولا يكتب ، كما في قوله : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ } . . .
والجواب : أنا أشرنا أولاً إلى ناحية منه ، وهي أنه أكمل للمعجزة ، حيث أصبح النبي الأمي معلماً كما قال تعالى : { يَتْلُواْ وَعَلَّمَهُمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } . . .

وثانياً : لم يكن هذا النبي الأمي مغفلاً شأن القلم ، بل عنى به كل العناية ، وأولها وأعظمها أنه اتخذ كتاباً للوحي يكتبون ما يوحى إليه بين يديه ، مع أنه يحفظه ويضبطه ، وتعهد الله له بحفظه وبضبطه في قوله تعالى : { سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَى إِلَّا مَآ شَاءَ اللَّـهُ } ، حتى الذي ينساه يعوضه الله بخير منه أو مثله ، كما في قوله تعالى : { مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا } ، ووعد الله تعالى بحفظه في قوله : { إِنَّا نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِعُونَ } . . .

ومع ذلك ، فقد كان يأمر بكتابة هذا المحفوظ وكان له عدة كتاب ، وهذا غاية في العناية بالقلم . . .

وذكر ابن القيم من الكتاب الخلفاء الأربعة ، ومعهم تنمة سبعة عشر شخصاً ، ثم لم يقتصر صلى الله عليه وسلم في عنايته بالقلم والتعليم به عند كتابة الوحي ، بل جعل التعليم به أعم ، كما جاء خبر عبد الله بن سعيد بن العاص (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يعلم الناس الكتابة بالمدينة ، وكان كاتباً محسناً) ذكره صاحب الترتيبات الإدارية عن ابن عبد البر في الاستيعاب . . .

وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت قال : (علّمت ناساً من أهل الصفة الكتابة والقرآن) . . .

وقد كانت دعوته صلى الله عليه وسلم ، الملوك إلى الإسلام بالكتابة كما هو معلوم . . .
وأبعد من ذلك ، ما جاء في قصة أسارى بدر ، حيث كان يفادي بالمال من يقدر

